عوامل نشأة الفكر العربي

(خصائصها- اتجاهاتها- سماتها)

حسين علي منصور

أ.م.د.حسين هادي صالح

جامعة بغداد / كلية الآداب

قسم الفلسفة

عوامل نشأة الفكر العربي (خصائصها- اتجاهاتها- سماتها)

حسين علي منصور

أ.م.د.حسين هادي صالح

المقدمة

بعد ما وجد الكثير من المفكرين العرب وحتى من غير العرب ولاسيما في العالم الإسلامي انفسهم في مقارنة مع العالم الغربي المتقدم حضاريا وفكريا وثقافيا، بعد حملات الغزو الأوربي للبلدان العربية والإسلامية (حملات نابليون بونابرت، حملات ليبيا، العراق ...) بدأت بعدها غزو بعض البعثات العلمية الى أوربا لأغراض وغايات متنوعة جعلت منها (البعثات) الى جلب انتباه قسم من المفكرين الى واقعهم المتردي والمتخلف الذي خلقته الحروب بالأخص التوجه الديني والعقائدي للدولة العثمانية حينذاك وما حصلت من القطيعة الفكرية والانعزال شبه التام للعالم العربي والإسلامي، هذا الضعف والعزلة مهد دخول المستعمر، ولاسيما الغربي وسيطرته سياسياً واقتصادياً وفكرياً على عالمنا العربي.....

اثر هذه الحالات ظهرت تيارات عديدة بغية اصلاح حال المجتمعات العربية والإسلامية مما أصابها من الجهل والظلام الفكري وتعددت مفاهيم ومدلولات هذه التيارات النهضوية بتعدد وتنوع اقطابها و مرجعياتها الفكرية سواء كانت دينية ام مدارس فكرية أخرى، كانت تهدف الى نقاء الإسلام والعودة به الى القيم الدينية السمحة بعيدة عن التزمت الفكري المنغلق ضمن اطار مرجعية فكرية واحدة هدفها الأمثل تحقيق كرامة الإنسان بشتى السبل والوسائل تحت مظلة الأفكار الإسلامية النيرة المنفتحة على الآخر التي ترفض البدع الدخيلة وتؤمن بمبدأ العدالة والمساواة وقبول الآخر، تجمع كل التوجهات الحداثوية (الايمانية)، التي تخرج هذه المجتمعات من مازق التخلف السائد وتحقيق النهضة العربية والإسلامية بما يليق وينسجم مع متطلبات العصر.....

ننطلق من مبدأ مفاده أن النزعة الإنسانية كانت موجودة في الثقافة والحضارة العربية والإسلامية قبل الغرب، واختفت تدريجاً بعد فترات متفاوتة، لذلك فمن الواجب علينا بإعادة التفكير بهذه المسألة (النزعة الإنسانية)، لمعرفة أسباب ازدهارها في العصور السابقة (الكلاسيكية)، ومن ثم الأسباب التي أدت الى تراجعها واختفاؤها بل وانقراضها بعد ذلك في ثقافة وفكر مجتمعاتنا العربية والإسلامية – أي معرفة تلك الأسباب التي أدت الى انقراضها، والطرائق التي يمكن خلالها بالعودة الى الأصول الفلسفة الإنسانية الاولى وأحياؤها في الفكر العربي والاسلامي.

يرى الأستاذ محمد أركون أن موت الأنسنة وعدم استمراريتها في الفكر العربي، بالرغم من بلوغها الذروة في القرن الرابع الهجري، هو ما أصاب الفكر العربي الأسلامي المعاصر من القطيعة سواء كانت هذه القطيعة مع التراث العرابي العقلاني، أو مع الحداثة العربية، يعكس ما كانت عليه النزعة الإنسانية التي تحكمت في إضعاف هيبة الخلافة من قِبل البويهيين، ثم ازدياد أهمية الدور الذي يلعبه العقل الفلسفي من أجل تجاوز الصراعات المتكررة والحاصلة بين الطوائف، والمذاهب، العقائد الدينية والفكرية. لأن الخلافة كانت تتمتع برمزية دينية عالية واستخفاف البويهيين بها يعني السير في طريق العلمنة لمؤسسة السلطة العليا.

بالإضافة الى أن العقل الفلسفي كان يعلو على العقل المذهبي (المتحجر). يعني ايضاً تأكيداً لعلمنة الفكر في الساحة العربية الإسلامية[١].

أيضاً الانتشار الذي عرفته الثقافة العلمية والفلسفية اليونانية في الأجواء والمناخ الإسلامي، هو من ضمن أسباب ظهور النزعة الإنسانية، حيث عرفت الثقافات المختلفة والمعارف المتعددة صوراً و أشكالاً من التفاعل المبدع مع هذه الفلسفات (لاسيما اليونانية)[٢].

كذلك يمكن أن نوجز أسباب تطور نزعة الأنسنة الكلاسيكية في الفكر العربي الإسلامي والتي دشنها جيل من الأدباء والفلاسفة أمثال: التوحيدي وابن مسكويه الى تراجع هيبة الخلافة وعلمنة السلطة السياسية، وغلبة العقل الفلسفي على العقل الأرثوذكسي المذهبي والطائفي، وانتشار روح التسامح عن طريق تعدد الثقافات واختلافها،

(الهندية، الفارسية، السريانية، اليهودية)، مما أوجد ثقافة خلافة ومنفتحة على التراثيات الفكرية المختلفة وازدهار طبقة التجار حيث يشكلون الأطر الإجتماعية المؤهلة لأستقبال ثقافة دنيوية عقلانية وظهور طبقة الكتّاب التي تعمل على تحرير العقول وتحفيزها على الإبداع[١].

بالإضافة الى أنتشار الفلسفة والاهتمام الكبير بها على الرغم من كل ما فعله المتوكل العباسي (ت٢٤٧هـ) سابقاً لتحجيمها والقضاء عليها، وقد ترافق صعود نخبة إيرانية (فارسية) مثقفة تعيش في كنف القادة البويهيين وترعرعوا في حاشيتهم، وكان أزدهار الأنسنة الفلسفية (أو التيار العقلاني الفلسفي) يُلبي حاجة تاريخية في ذلك الوقت، وبالأخص لتقليص التناقضات المتفاقمة بأستمرار بين الإيمان والعقل، أو بين الحكمة والتاريخ[٢].

هذا الازدهار الفكري والمعرفي للنزعة الإنسانية لم تصمد طويلاً، حيث سرعان ما تغيرت وتبدلت، وبدأت الأنسنة العقلانية في التراجع والاختفاء، وهذا التراجع الذي أصابها هو بمثابة انتكاسة كبيرة للثقافة العربية لاتزال نتائجه عكسية وكارثية مستمرة الى اليوم.

يحدد أركون بعض الأسباب التي أدت الى تراجع النزعة الإنسانية في الفكر العربي و الإسلامي الى ما يلي:

١- رد الفعل الذي قام به السلجوقيون على الدولة البويهية ذو الفكر الديني والعقائدي المعتدل والمتسامح، ومعاداتهم (السلجوقيون) للأتجاه الفلسفية والعقلانية، واعلانهم حرباً شعواء على فكر المعتزلة والقضاء عليهم وبالتالي عدم قدرتهم على التوافق بين الإنسية العقلانية والإسلام.

٢- الاسباب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي أدت الى فشل تيار فكري ما في لحظة معينة من لحظات التاريخ.

٣- العوامل السياسية سواء الداخلية المرتبطة بالطبقات الاجتماعية التي كانت طور التشكيل، أو الأخطار الخارجية المحدقة بالأمة (المغول والصليبين) – في نظر أركون– هي التي كبحت النزعة الإنسانية وعجلت بموتها، عندما استعاضت عنها بإيديولوجيا الجهاد التي تعارض الفكر المنفتح والمتسامح.

٤- ارتباط الإسلام بالدولة، وفرض الفكر المتحجر (الأرثوذكسية) الدينية التي تفرضها الحكام (ولاسيما السلجوقيين حينما)، وتصادم هذا الفكر مع النزعة الإنسانية وتوجهاتها.

٥- احتكار النخب السياسية العربية الإسلامية بعد استقلال دولهم للسلطة الحاكمة المحافظة علة مناصبهم ومنافعهم الشخصية، لذلك لم يكن بمقدورهم من استعادة التراث العقلاني والفلسفي، لأنها سقطت في الدعوة التبجيلية التي تضخم الهوية وتحرص على عدم نقدها وجعلها هوية منفتحة على الماضي وعلى الحاضر[١].

٦- إن النجاحات التكنولوجية للغرب قد جعلت الخطاب الإنسي والنزعة الإنسانية تبدو هامشية وغير ذو أهمية (موت الإنسان)، ولم يبقى في الساحة إلا إرادات القوة الجماعية واستراتيجيات السيطرة عن طريق التقدم التقني والانتاجية الاقتصادية[٢].

وبالتالي فأن هناك رفض مزدوج لأستعادة التجربة الإنسية، وحتى العصر الليبرالي العربي الذي كان يحمل بعض التجارب العقلانية والإنسانية خاصة في قراءات التراث العربي العاصر والاحتكاك بالحداثة الغربية.

وبسبب هذه التراجعات المستمرة للنزعة، وحتى يتم التأصيل للأنسنة في الفكر العربي و الإسلامي المعاصر لابد من الدعوة الى ضرورة استعادة وإحياء هذا الثقافة في الفكر العربي والإسلامي وفق سياقات معرفية تنسجم مع ثقافة العصر الراهن وبآليات تتناغم مع متطلبات المجتمعات العربية والإسلامية المعاصرة.....

ويرى بعض المفكرين العربي ومنهم (أركون)، أن عصر النهضة العربية هي محاولة لإعادة الصلة بالماضي الكلاسيكي المبدع من جهة وبالحضارة الأوربية من جهة أخرى، حيث حملات الترجمة والتزاوج الفكري بين العرب والأوربيين في شتى الاختصاصات العامة: الفلسفية والأدبية والعلمية وظهور أسماء لامعة في تاريخ الأدب والفكر والفلسفة في الأوساط العربية والإسلامية وشكلوا تيارات إنسانية وعقلانية وجوانب فكرية أخرى. وقسم منهم كان بمثل ذروة الموقف الإنساني والعقلاني والنهضوي الحديث، ولهذه الأسباب لاقوا الكثير من المضايقات من قبل أصحاب الأتجاهات والحركات الفكرية المتزمتة.....

هذه العملية تحيلنا للوقوف أمام ضرورة حياتية، كما يراها بعض المفكرين العرب: هل يمكن تحرير الفكر بغير تحرير الواقع، وهل يمكن تحرير الواقع بغير تحرير الفكر؟ فالقضية إذاً لا يمكن أن تقصر على التحرير المعرفي، لأن هناك تشابك بين هذين البُعدَين للتحرير الإنساني[١].

هذا فضلاً أن الأستاذ محمد عابد الجابري قد أعتبر أن ثمة نقطة انطلاق تراثية في مشروعه للتحديث والتجديد في الفكر العربي (وكما يرى هو المشروع الثقافي الأندلسي المتمثل أساساً في ابن حزم والشاطبي وابن رشد وابن خلدون)، أي في الأتجاه العقلي التقدمي بشكل عام. وهذا الأمر يوحي بأعتماد محددات عقلانية معرفية، تكون لها الأولوية عند أصحابها لفرضها على الواقع[٢].

لدى الكثير من المفكرين السؤال التالي: (كيف ننهض؟) إلا أنهم أختلفوا كثيراً في الإجابة، فمنهم مَن قال بالوعي الديني، والآخر يؤكد الوعي القومي، بينما قال آخرون الى وعلى أثر ذلك توالدت ضرورة العودة للآخر بأسباب العلم والتكنولوجيا. وهذا الحوار الفكري والتنموي غالباً ما كان بعيداً عن النظرة الحداثوية والفلسفية مما أدى الى التشتت الفكري وطرح آراء بشكل واسع (تراكمي)، بعيدة عن الموضوعية لتوثيق نتاجات نهائية ذو أبعاد فكرية وفلسفية موحدة. فقد ظلت أفكار روّاد النهضة العربية كما يقول الاستاذ (ياسين معاليقي، مجرد آراء متفرقة يطرحها المصلحون وبعض رجال الثورة في خطبهم ومقالاتهم ولم ترق الى مرتبة الفلسفة الأوربية[١].

قد يكون ذلك بسبب المهام الموكلة إليه، لأن رسالة الفكر، هي تنموية موجهة للتعبيرعن الوضع السائد العام (الواقع) بأسلوب مباشر وهذا الأسلوب يفهمه الواقع نفسه ويحاول جاهداً التأثير فيه، دون أن يحاول الانتقاص من مكانة وقَدَر هذا الواقع، بل تحديد طبيعة التي تتسق مع المهام التي يجب أن يؤديها، بالإضافة أن الخلاف يأتي في سياقات معرفية تُقيّم الواقع وتخلفها الحضاري، وبالتالي المحاولة للرقي بها لتصل الى مصاف الفلسفة أو الإقرار بأنها فلسفة[٢].

هذه الآراء مجتمعةً بالإضافة الى الإصرار في تشكيل الأفق أو الإطار العام الفكر العربي (الحديث والمعاصر)، لايمكن حصرها وتحديد منهاجيتها في أطر معين ومحدد،

لأن الأفكار والعوامل الإسلامية ليست نفسها هي العوامل المؤثرة في الفكر العربي (القومي)، رغم وجود تداخل بينهما. ولابد أن نشير الى صعوبة تحديد انتماء المفكرين، ناهيك عن حالة التأرجح التي عاشتها التيارات الفكرية وعاشها المفكرون، فحيناً يذهب لهذا الأتجاه وأحياناً أخرى في الأتجاه المضاد، إضافة الى أنه يستحيل تقسيم الفكر والمفكرين بشكل قطعي ونهائي، سواء فكرياً أو تاريخياً، وبالتالي هناك العديد من المفكرين لاينتمون الى أي تيار، بل وقد يجمعون بين عدد من التيارات في مشروع واحد، مثل فؤاد زكريا الذي جمع بين الليبرالية والعلمانية وخالد محمد خالد الذي مزج بين الإصلاح الديني والليبرالية[١].

لكن العوامل العامة المتمثلة في الوضع العام للبلدان العربية وما تركته حملات الغزو والأستبداد وما تسببت به من سياسات التخلف والظلم والفقر، من جهة، واسهام الحكم العثماني في تسطيح العقل العربي و تعميق الخرافة والبعد عن العقلانية من جهة ثانية، وأستمر الوضع على ما هو عليه حتى وهنت الدولة العثمانية وبدأ الأطماع الغربي تتوجه نحوها، حتى تمكنت من احتلال بعض أراضيها وتزامن ذلك من تفكك السلطة العثمانية وتمرد الجزء الأكبر من مستعمراتها في البلدان العربية. وخلال فترة الحكم العثماني عانى العرب من التهميش والعداء والأستبداد التركي الذي وصل الى مرحلة (التتريك) للقضاء على الثقافة واللغة العربية[٢].

هو ما فسح المجال ودفع بالمفكرين للقيام بمشاريع جديدة للإصلاح الديني (الإسلامي)، والفكري ولاسيما قيام بعض الحكومات العربية الى إرسال البعثات العلمية الى أوربا كذلك أنتشار الصحافة والترجمة والتأليف.....

ناهيك عن العامل الأكثر سلباً في هذه الحقبة (الغزو العثماني)، هو حدوث قطعتين كبيرتين لايزال يعاني منها العالم العربي والإسلامي حتى اليوم، قطيعة (داخلية) تتمثل في الانقطاع الفكري للإسلام عن أفضل ما أنتجه الفكر الإسلامي ذاته من القرون الأولى للهجرة حتى وفاة ابن رشد في أواخر القرن الثاني عشر مما أدى الى جهل بتلك الفترة الزمنية وما فيها من خصوبة وغزارة المعارف الفكرية أما القطيعة الأخرى (الخارجية)، فقد تمثلت في الانعزال عن التقدم العلمي والكشوفات العلمية والعقلية، حيث ضلت البلاد

العربية خلال حقبة الغزو العثماني، في عزلة تامة عن العالم الخارجي مما ترتب عليه من آثار الجمود الفكري وغياب تام للأبتكار والاختراع وبالتالي الاكتفاء باعتماد نصوص معينة في ما ورد في كتب الفقه والحديث والنحو وغيرها(١).

وهذه العزلة التي فُرِضَت على البلدان العربية تسبب في شياع الفقر والجهل في فترة كانت حاسمة من تاريخ البشرية، بالمقابل عرف فيها الغرب تطوراً هائلاً لم يسبق أن عرفته البشرية. ومن جهة أخرى تسببت العنصرية العثمانية في زرع روح الثورة (للعلم العربي) للتخلص من التتريك، وهذا مهد للتحالف مع الغرب (المتحضر) للتخلص من ظلم العثمانيين، وكل هذه التناقضات والتقلبات انعكست على تيارات وأفكار المفكرين العرب بين مؤيد ومعارض للصحوة الإسلامية العربية(٢).

لأنهم ضيعوا روح التجانس والتماسك بين طبقات المجتمع العربي، حتى بدأت الأُطر الاجتماعية القديمة بالانهيار وتراجعت القيمّ الاجتماعية القبلية لتحل محلها قيمّ جديدة (ربما تكون مستوردة من الغرب لهذا نشأ صراع شديد بين الراغبين في الانفتاح على العالم الغربي، (ولاسيما الفرنسي) وتقليد الغرب في المسكن والملبس والمأكل والمشرب ومختلف وسائل ترفيه والتسلية، وبين المحافظين أنصار التقليد القديم الذين بذلوا كل ما في وسعهم لمقاومة تيار الإصلاح الديني(٣).

لكن في حقيقة الأمر يكن القول بأن هبوط الجيش الفرنسي بقيادة نابليون على شواطئ الاسكندرية، وقضاء على جيوش المماليك (عام ١٧٩٨م)، هو بداية اليقظة العربية، ويُنسب لتلك الحملة ما يطلق عليه (صدمة الحداثة) حيث جعلت الغرب الحديث مرآة للذات، تعكس فيها صورتها، وترى الآخر في مرآة الذات، وهي التي نشأت عليها بناء التيارات الفكرية العربية(١).

حيث فتحت هذه الحملة آفاقاً جديداً (لاسيما على مصر)، بشكل خاص والعالم العربي بشكل عام، إذ أدخلت معها النظم الغربية، بما اشتملت عليه من مباديء سياسية وأنظمة إدارية وعلوم وآداب وفنون وطباعة وصحافة، حيث أصطحب نابليون في حملته هذه فريقاً من العلماء في الرياضيات والهندسة والطب وجلب معه حتى المطابع (العربية)، وأنشأ

الدواوين، وأسس مجمعاً علمياً موزعاً على مختلف العلوم، وأنشأ مرصداً ومختبراً ومتحفاً ومسرحاً وأصدر جريدتين باللغة الفرنسية وجريدة باللغة العربية[٢].

لذلك كانت هذه الحملة رافداً من الروافد التي تحمل المباديء الثورية والإنسانية، بنص خطاب نابليون، أنه ما جاء إلا لكي يخلصهم من يد الظالمين وتسلط المماليك، ويعيد إليهم خيراتهم وحقوقهم المسلوبة، لأن الناس متساوون عند الله، ولابد أن يحترم حقوق الناس و آرائهم ومعتقداتهم وتوجهاتهم الدينية، وتبعاً لهذا الخطاب تأثر الكثير من مفكري النهضة العربية بهذه الثورة (الفرنسية)[٣]. لذا يمكن القول بأن حملة نابليون كانت ذات تأثير متعدد المجالات، فهي رفدت أواصر الأتصال بين الغرب والشرق – وكانت بمثابة صدمة للشرق وبناءً على ذلك تشكلت رؤية الشرق للغرب بطابع ايجابي، كما أنها تركت بُعداً مؤثراً في النواحي العلمية بسبب ما نقلته من مقومات ومناحي للأدب والفن، إضافة الى مباديء الثورة الفرنسية التي تهتم وتعلي من شأن الإنسان وحريته وحقوقه، ولعل السمة البارزة في هذه الحملة هي ما أسهم بشكل كبير في شيوع فكرة الثورة، كما أنها ساهمت في تطوير الفكر السياسي، حيث برزت مصطلحات مثل: حكم الأمة – والحاكم يعتبر خادم الرعية وليست الرعية خادمة للحاكم[٤].

نتج عن هذه المخرجات مجتمعة خروج جيل جديد من المفكرين، يؤسس أفكاره وفق توجهاتهم الفكرية والعقائدية المختلفة على ما أطلعوا عليه من أفكار الغرب المستنيرة، ولعل أهم مثال في هذا السياق هو رفاعة رافع الطهطاوي، الذي أُرسل أساساً لمراقبة الطلاب لكي لاتفسد المدينة الغربية دينهم. إلا أنه بنفسه قد تأثر بالحضارة الغربية وأفتتن بها، وأبدى أعجابه الكبير بالثقافة الغربية التي تقوم على احترام حقوق الإنسان الفكرية والسياسية، كما أعجب بالطابع المؤسساتي ودقة العمل ونظام المدن واحترام القانون، ووفرت له الفرصة على الاطلاع من قريب على الكثير عن الحضارة الغربية، ودراسة أسباب نهضتهم والفارق بين ثقافة الغرب والشرق، والذي لخصه في مباديء الديموقراطية والنظم السياسية والاهتمام بالعلم والابتكارات وأنواع المعارف[١].

ومن أبرز خصائص النهضة أنها جعلت من الإنسان محوراً لأهتمامها ضاربة بعرض الحائط تقاليد العصور الوسطى الهيمنة العثمانية التي أهملت دور الإنسان وكبلته بشتى

القيود، وعززت قدراته الفكرية والإبداعية ورمت كل ثقلها في الأعتزاز به والثقة في عظمته وقدرته على التعبير وتحقيق آماله في العيش والحرية في التفكير، لذلك هيمن على النهضة الأوربية النزعة الإنسانية التي اتجهت نحو إحياء التراث القديم وإعادة قراءته للاستفادة من قيّمة وعلمه خدمة للإنسانية[٢].

احاول أن أذكر بإيجاز بعض الأتجاهات الفكرية عند العرب والمسلمين بشكل أعمم وأبتعد عن الغوص في تفاصيل هذه الأتجاهات طالما أن الهدف الرئيسي الذي وضعته نصب عيني هو تقديم دراسة ممكن أن تكون موجزة للنزعة الإنسانية في الفكر العربي والإسلامي، وتكون لهذه الأتجاهات الدورالريادي لتنميتها وترسيخها في تحقيق بعض أهدافها وأبعادها الفكرية والمعرفية.....

١- الأتجاهات الدينية[١]

يمكن وضع الإطار العام للفلسفة العربية والتي يتمثل في قطبين أساسيين، يكون الأول هو التراث بمختلف مستوياته، ويأتي على رأسها المستوى الديني بمختلف تياراته ومذاهبه، لأن البيئة الدينية متشربة بالقيمّ الدينية، (بل ربما بكل القيمّ أحياناً)، ولا نهضة ولا إصلاح بعيداً عن الدين، إضافة الى التراث التاريخي المتمثل بالجذور المشتركة واللغة والتاريخ. أما القطب الآخر للفلسفة العربية، فتتمثل في التيارات الفكرية والفلسفية الغربية، خاصة تلك التي تشكلت في الحقبة المعاصرة تحت تأثير التطور العلمي والتقدم التقني[٢]. ويمكن أن يندرج تحت هذا الاتجاه المذاهب والحركات وبدعوات الاصلاحية بشتى مسمتيها، والتي تكون هدفها الرئيسي الحافظ على كرامة الإنسان وضمان حقوقه.

٢- الأتجاهات السياسية[٣]

إن فهم مايجري على الساحة السياسية الدينية والمدنية يقتفى بضرورة التمييز بين الإسلام كواقع ديني يمارسه المسلمون بصرف النظر عن عقائدهم السياسية والفلسفية وبين الإسلام كواقع سياسي – أي كتنظيمات سياسية. لذا يقتضي بعدم الخلط داخل الحركات العربية والإسلامية السياسية نفسها بين أطرافها وتياراتها المختلفة. فالعودة الى الإسلام كمصدر ثابت لاستلهام قيمّ الأخوة والإنسانية ظاهرة مستقلة كلياً عن استخدام بعض الحركات السياسية له من أجل دعم مسيرتها نحو السلطة[٤]. لأن الهدف الأسمى

من العملية السياسية هنا تحقيق رفاهية المجتمع والمحافظة على حقوق المواطنين بغض النظر عن لغتهم وقوميا تهم وتوجهاتهم الدينية.

٣- الأتجاهات الاجتماعية[١]

يدعو هذا الأتجاه الى إقامة حكم ديموقراطي يتساوي فيه الجميع ويعطي لكل حسب كفاءته وجهده لا حسب دينه أو مذهبه ويقوم على أسس العلم والعقل والى الوطنية وقد أهتم هذا الاتجاه بالمسألة الاجتماعية والتقدم الاجتماعي والمساواة الاجتماعية بين المواطنين وأنصاف المرأة وضمان حقوقها الشرعية والاهتمام بالتعليم والدعوة الى العدالة الاجتماعية[٢].

٤- الاتجاهات العلمية[٣]

أدرك العرب منذ مطلع القرن التاسع عشر، أن من أسباب تفوق أوربا وقوتها هو اعتمادها على العلوم التطبيقية وتطويرها، ولذلك أقبلوا عليها أقبالاً شديداً، ودعا قسم كبير من المفكرين العرب- وعلى رأسهم الطهطاوي الى ضرورة اقتباس العلوم الغربية لتحقيق النهضة المتوخاة عند المسلمين، مؤكدين أن ذلك لا يتعارض مع الدين الإسلامي، وإن العلم لا يناقض الدين ودعوا الى ضرورة التوفيق بينهما بغية تطوير المجتمعات في كافة ميادين الحياة لتحقيق مكاسب المواطنين أهدافهم[٤].

أما بالنسبة الى الحديث عن السمات العامة للفلسفة العربية أو الفكر العربي، فأنه لايعني بالضرورة أن هناك تطابق تام بين هذه السمات وبين كل تيارات الفكر العربي ومفكريه ومراحله التاريخية المختلفة، بل إنها محاولة لا تتعدى كونها إشارة لخطوط عريضة تظهر وتختفي بنسب متفاوتة بين مختلف الأتجاهات والتيارات الفكرية عبر الزمن، فقد تتجلى سمة ما في الفكر الديني وتكون أقل في الفكر القومي، وقد لا تجدها بوضوح في الفكر العلمي، أوقد تجدها لدى مفكر ما دون أقرانه من المفكرين، أو ربما ترتبط بحقبة زمنية وتختفي في فترة تالية. ومن أبرز هذه السمات ما يلي:-

١- الطابع الديني:

لاجدال على أن الدين هو المكوّث الثقافي الأكبر تأثيراً (كما أسلفت)، ووضوحاً في البيئة العربية والإسلامية[١].

٢-النخبوية والفوقية والبُعد عن الواقع:

إن المقصود بالنخبوية في الفكر العربي، نخبوية المسلك والتأثير والريادة، أي أن المفكرين العرب يتحدثون مع أنفسهم دون أن يكون رجل الشارع والمجتمع على صلة تذكر بهذا الحديث[٢]. فالفكر العربي الإسلامي ما يزال الى الآن أقرب الى القول الإنساني الفوقي والبعيد عن القول العلمي، حيث يعتبر التفكير في التكوين الثقافي للبلدان العربية وحتى البلدان المتخلفة بصفة عامة نوعاً من الرفاهية مقصورة على الميسورين[٣]، ولذلك يعاني الخطاب من أزمة التلقي، وحكم على نفسه بالنخبوية، لذلك فقدت صلة الأتصال بالرأي العام والقدرة على التأثير فيه، وهذه ربما تكون بسبب بطش الأنظمة السياسية، حتى أصبحت الثقافة مهنة وليست رسالة. أما لو كانت الخطابات غير نخبوية وحاولت الوصول الى رجل الشارع فأنها غالباً ما تخاطب مشاعر الجمهور، دون أن تكون خطابات عقلانية وهذه السمة أحدثت خللاً كبيراً في العقل الجمعي للشعوب العربية، وخلقت بسبب ذلك شرخاً بين آمال الشعوب من جهة وبين امكانياتها وأدواتها من جهة أخرى، فالآمال ذات طبيعة شعورية، بينما القدرة على تحقيقها تعتمد على القدرة العقلية، ومن السهل العبث بمشاعر الجمهور، لكن تطوير العقول وتأهيلها للإنتاج والتنظيم أمر في غاية الصعوبة ويحتاج الى وقت ومشقة[٤].

٣- الطابع الإصلاحي[١]:

لقد كان الفكر العربي في عمومه فكراً إصلاحاً، لذلك نجد الإصلاح بمفهومه الشمولي، هو الفكرة المركزية للفكر العربي، حيث كان يُعبر عن أزمة، نتيجة الظروف التي مرت بها المجتمعات العربية والإسلامية، سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، وتلك الأزمة في حقيقتها أزمة حضارية تعاني المجتمعات فيها من الفقر والجهل والتخلف على كافة المستويات، لذلك فأن محاولة النهضة كانت الطابع الأبرز في الفكر العربي.

٤- الأيديولوجيا والمرجعية المزدوجة (الإصالة والمعاصرة):

دون شك أن السمة الأبرز للفكر العربي هي الأنتماء الى أكثر من مرجعية متعارضة بل ربما متضاربة أحياناً (مرجعية مزدوجة)، حيث كانت أفكار كل مفكري عصر النهضة مؤطرة تاريخياً بالتراث العربي الإسلامي، وحضارياً أو علمياً بالنموذج الغربي، لذلك

فالخطاب النهضوي لم يتمكن من تأسيس الإبداع الحضاري، وأقتصر على استيراد بعض الأفكار نتيجة عدم الانسجام (أحياناً)، فالعقل العربي كان عقلاً مستهلكاً وليس منتجاً، وأنتج خطاباً عربياً فاشلاً، لم تخرج الإجابة على سؤال النهضة، حيث يرى البعض بضرورة الأنطلاق من التراث، والآخر يرى أن من مقومات النجاح اعتماد النهضة الغربية، لذلك كان الفكر العربي يعيش ثنائية دائمة[٢].

٥- الاغتراب:

إن مصطلح الأغتراب من أكثر مصطلحات الفلسفة الحديثة والمعاصرة تعقيداً، ربما يكون اجتماعياً أو اقتصادياً أو دينياً أو سياسياً، فالإنسان يحبس وجوده بالوجود المادي، ينتج عن ذلك ضياع الكيتونة الوجودية للإنسان، وتشّردها عن الأصل الوجودي لكل موجود في عالَم الإمكان[١]. إلا أن حالة الاغتراب التي أصطبغ بها الفكر العربي قد تكون مختلفة نوعاً ما، لتعلق الأمر بالعلاقة بين المثقف والجماهير، نتيجة الانفصال (شبه تام) بين المفكرين (المثقفين) وبين الطبقات الاجتماعية نتيجة غياب الوعي بين الجماهير (النخبوية الثقافية وترفيه الفكر)[٢].

٦- التبعية الفكرية وأزمة الإبداع:

بطبيعة الحال أن أطلاق العنان للعقل هو أحد عوامل الإبداع والتميز عامل للتطور والتحضر، وبخلاف ذلك أن الأمة التي تكتض حياتها بالمقدسات التي لا تحبذ النقد والحجاج يفتح باباً للقطيعة مع الآخر المنفتح (الحضاري)، هذا النموذج المتفشي هو ما يعانيه الفكر العربي[٣]، سواء ما يتعلق الآمر بأطروحات الداعية السلفية الدينية، أو الليبرالية، أو الماركسية، فهناك نموذج يُشكل الإطار العام المرجعي لكل منهم، يفكر به وعليه يقيس، لذلك فالنموذج السلفي هو النموذج الذي يغذي عوائق التقدم والإبداع في الفكر العربي[٤].

هذا التقديس للمقدس جعل من الحالة الفكرية للأمة العربية والإسلامية في حاضرها لا تلتقي على هدف فكري واحد، لأنها مليئة بجماعات وتيارات لا تتقاطع خطوطها في نقطة تلتقي عندها، ولا تمتد نحو الأفق الفكري لتتلاقي عند هدف مشترك. لذلك كان الشتات

والخلط بالمعايير والأنتقائية مؤداها ونتائجها كانت عكسية، حيث تبدأ التيارات قوية وذات أهداف واستراتيجية واضحة ثم تنحدر وتشتت شيئاً فشيئاً[٥].

الخاتمة

هذه الجهود الفكرية استمرت لطيلة سنوات عدة حتى راحت تبحث عن جوانب علمية وعقلية كأساس لهذه النهضة تعمل على إعادة صياغة المفاهيم والقيم القديمة واستبدالها بقيم جديدة تكون أكثر جدية لبناء مشروع فكري نهوضي ناجح يتماشى مع متطلبات العصر وفق منطلق عقلي وعقائدي معاصر يشمل جميع الجوانب الأخرى، سواء كانت سياسية، تربوية، اقتصادية وغيرها.

حيث ان العلاقة بين عملية التجديد الديني والثقافي ومشروع الإصلاح السياسي والفكري علاقة عميقة، وان تحقيق المشروع الإصلاحي السياسي لن يتحقق الا عن طريق التجديد الفكري الديني والثقافي، حيث بدون الدخول في مشروع التجديد الديني والثقافي تزال الكثير من العقبات والموانع الفكرية الموجودة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية. وان تجدد الأفكار الدينية لمجتمعاتنا الراهنة– تجدد المعرفة الدينية في ثقافة أي مجتمع، هو راهن بحضور المجتمع وتفاعله مع واقعه الاني، لأن المعرفة الدينية اذا ضلت حبيسة أفكار بعض المراجع المتزمتة، وحبيسة الجدران، لايمكن ان تستجيب الى حاجات المجتمع وتتفاعل مع همومه ومشاكله التي بدأت تزداد مع تطور التكنولوجي والصناعي. عليه فان القيم الدينية ومعارفه الأساسية، هي منظومة متفاعلة مع قضايا الواقع، واية محاولة لوضع العراقيل والحواجز بين القيم الدينية وحركة الواقع ستنعكس سلباً على تطورنا وفق مفهومنا وادراكنا لمعارف الدين وقيمة الأساسية، وعليه فأن التفاعل مع الواقع والتواصل بين القيم الدينية (الواقع بكل تحولاته على مستوى الشرع وغيره..) يؤدي الى تطوير وإنضاج الرؤى لتمكن من الاستمرار لخلق التفاعل بين المعرفة الدينية وحركة الواقع، وإدراك مقتضيات الزمان والمكان، لأنها من العوامل والمداخل الأساسية لفهم الدين وتحديد عملية التطور في المعارف الدينية، انطلاقا من التحولات الزمكانية.

المصادر

١. أركون – محمد، تاريخية الفكر الاسلامي العربي، مركز الإنماء القومي، بيروت، الدار البيضاء، ط/٢، ١٩٩٦.

٢. أركون – محمد، قضايا في نقد العقل الديني، ترجمة: هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٠.

٣. المحافظة – علي، الأتجاهات الفكرية عند العرب، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت،١٩٨٧.

٤. أركون – محمد، نزعة الأنسنة في الفكر العربي، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، لندن، ط/١، ١٩٩٧.

٥. أمين – محمود، الفكر العربي بين الخصوصية والكونية، ط/١، دار المستقبل العربي، القاهرة، ١٩٩٦.

٦. الجابري– محمد عابد، بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط/٩، بيروت، ٢٠٠٩.

٧. محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط/٥، ١٩٩٤.

٨. حنفي – حسن، في الفكر المعاصر، دار التنوير، مصر، القاهرة، ١٩٨٣.

٩. حنفي – حسن، هموم الفكر الوطن، ج ٢، دار قباء، القاهرة، ١٩٩٨.

١٠. الدواي – عبدالرزاق، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، ط/١، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٢.

١١. الرفاعي – د. عبدالجبار، الدين والاغتراب والميتافيزيقي، ط/٣، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، ٢٠٢٣.

١٢. لبيب – الطاهر، الثقافة والمثقف في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٢.

١٣. رئيف – خوري، الفكر العربي الحديث، دار المكشوف، بيروت،١٩٤٣.

١٤. العلاف- ابراهيم خليل، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني، دار ابن الأثير للطباعة وانثر، العراق، ١٩٨٣.
١٥. عمران – د.عبدالله علي، الفلسفة العربية المعاصرة، ط/١، طرابلس، دار البيضاء، ٢٠٢٢.
١٦. المرزوقي – أبو يعرب، آفاق الفلسفة العربية المعاصرة، دار الطليعة، ط/١، ٢٠٠١.
١٧. مصطفى – كيحل، الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون، ط/١، منشورات الاختلاف، الجزائر،٢٠١١.
١٨. مؤنس – حسين، تاريخ موجز للفكر العربي، ط/١، دار الرشاد، القاهرة، ١٩٩٦.
١٩. ناصر- سمير محمود، الدين والسياسة وإشكالية العلاقة بينهما في الفكر العربي، الحوار المتمدن، ٢٠٠٦/٧/١.
٢٠. نجيب – زكي، قِيَّم التراث، ط/١، دار الشروق، القاهرة،١٩٨٤.
٢١. ياسين – معاليقي، معالم الفكر العربي في عصر النهضة العربية، دار أقرأ، مصر، الاسكندرية، ١٩٨٦.

الهوامش:

(١) أركون – محمد، نزعة الأنسنة في الفكر العربي، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، لندن، ط/١، ١٩٩٧، ص٢٠.
(٢) مصطفى – كيحل، الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون، ط/١، منشورات الاختلاف، الجزائر،٢٠١١، ص٦٦ .
(١) محمد أركون، نزعة الأنسنة في الفكر العربي، ص٦١٢.
(٢) كيحل مصطفى، الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون، ص٦٧.
(١) محمد أركون، نزعة الأنسنة في الفكر العربي، ص٦١٢.

(٢) كيحل مصطفى، الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون، ص٦٧.

(١) كيحل مصطفى، الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون، ص٦٩-٧٠.

(٢) أركون – محمد، تاريخية الفكر الاسلامي العربي، مركز الإنماء القومي، بيروت، الدار البيضاء، ط/٢، ١٩٩٦، ص٧٧.

(١) أمين – محمود، الفكر العربي بين الخصوصية والكونية، ط/١، دار المستقبل العربي، القاهرة، ١٩٩٦، ص١٩٥.

(٢) الجابري– محمد عابد، بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط/٩، بيروت، ٢٠٠٩، ص٤٤٢.

(١) أمين – محمود، الفكر العربي بين الخصوصية والكونية، ط/١، دار المستقبل العربي، القاهرة، ١٩٩٦، ص١٩٥.

(٢) الجابري– محمد عابد، بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط/٩، بيروت، ٢٠٠٩، ص٤٤٢.

(١) ياسين – معاليقي، معالم الفكر العربي في عصر النهضة العربية، دار أقرأ، مصر، الاسكندرية، ١٩٨٦، ص١٢.

(٢) حنفي – حسن، في الفكر المعاصر، دار التنوير، مصر، القاهرة، ١٩٨٣، ص١٤.

(١) ياسين – معاليقي، معالم الفكر العربي في عصر النهضة العربية، دار أقرأ، مصر، الاسكندرية، ١٩٨٦، ص١٢.

(٢) حنفي – حسن، في الفكر المعاصر، دار التنوير، مصر، القاهرة، ١٩٨٣، ص١٤.

(١) حنفي – حسن، هموم الفكر الوطن، ج ٢، دار قباء، القاهرة، ١٩٩٨، ص٧٤.

(٢) عمران – د.عبدالله علي، الفلسفة العربية المعاصرة، ط/١، طرابلس، دار البيضاء، ٢٠٢٢، ص٦٦.

(١) أركون – محمد، قضايا في نقد العقل الديني، ترجمة: هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٠، ص١٩٧.

(٢)عمران – د. عبدالله علي، الفلسفة العربية المعاصرة، ٢٠٢٢، ص٦٥.

(٣) المحافظة – علي، الأتجاهات الفكرية عند العرب، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت،١٩٨٧، ص١٦١.

(١) حنفي – حسن، هموم الفكر والوطن، ج/٢، ١٩٩٨، ص١٤٥.

(٢) عمران – د. عبدالله علي، الفلسفة العربية المعاصرة، ص٦٧.

(٣) رئيف – خوري، الفكر العربي الحديث، دار المكشوف، بيروت،١٩٤٣، ص٨٠ .

(٤) عمران – د. عبدالله علي، الفلسفة العربية المعاصرة، ص٦٨.

(١) مؤنس – حسين، تاريخ موجز للفكر العربي، ط/١، دار الرشاد، القاهرة، ١٩٩٦، ص٣٤٥.

(٢) الدواي – عبدالرزاق، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، ط/١، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٢، ص١٩٠.

(١) المحافظة- علي، الأتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٧، ص٣٥.

(٢) عمران – د. عبدالله علي، الفلسفة العربية المعاصرة، ص٨٨.

(٣) علي المحافظة، الأتجاهات الفكرية، ص٩٥.

(٤) ناصر- سمير محمود، الدين والسياسة وإشكالية العلاقة بينهما في الفكر العربي، الحوار المتمدن، ٢٠٠٦/٧/١.

(١) علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية، ص١٥٧.

(٢) العلاف- ابراهيم خليل، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني، دار ابن الأثير للطباعة وانثر، العراق، ١٩٨٣، ص٣٩٣.

(٣)علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية، ص٢٠١.

(٤) نفس المصدر، ص٢٣٦.

(١) عبدالله علي، الفلسفة العربية المعاصرة، ص٧٧.

(٢) نفس المصدر، ص٧٨.

(٣) المرزوقي – أبو يعرب، آفاق الفلسفة العربية المعاصرة، دار الطليعة، ط/١، ٢٠٠١، ص٢٠.

(٤) د. عبدالله علي عمران، الفلسفة العربية المعاصرة، ص٧٩.

(١) د. علي عبدالله عمران، الفلسفة العربية المعاصرة، ص٧٩.

(٢) الجابري- محمد عابد، الخطاب العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط/٥، ١٩٩٤، ص٥٨.

(١) الرفاعي – د. عبدالجبار، الدين والاغتراب والميتافيزيقي، ط/٣، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، ٢٠٢٣، ص٧٧.

(٢) لبيب – الطاهر، الثقافة والمثقف في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٢، ص٨٨ .

(٣) نجيب – زكي، قِيَم التراث، ط/١، دار الشروق، القاهرة،١٩٨٤، ص١٩٦.

(٤) الجابري – د.محمد عابد، إشكاليات الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط/٢، ١٩٩٠، ص٥٥.

(٥) نفس المصدر، ص١٦٧.